الحياة الادبية

في عدن

للاستاذ علي محمد لقمان

قليل هم الذين يعرفون شيئاً عن سكان جنوب الجزيرة العربية، فقد ظلت نواحي الجنوب في عزلة موجعة زماناً طويلاً، ولم تقم فيها صحافة تصلهم بإخوانهم العرب في شمال الجزيرة، ولم يخرج سوى عدد قليل من الجنوب الى البلاد الأخرى، وندر من فارق بلاده لغير شأن تجاري بحت. بيد أن هذه العزلة أخذت تزول، وطفق أهل الجنوب يشعرون بضرورة الاتصال بالخارج، والتمشي مع الروح الجديدة، وزاد الحاح هذا الشعور ما أسفرت عنه الحرب من مشروعات عربية استقبلها عرب الجنوب بالغبطة والترحيب.

لقد امتازت كل من اليمن وحضرموت بعلماء كبار في علوم الفقه والتشريع، وامتازتا أيضاً بلغويين فطاحل وشعراء ملهمين. ولكن عدم وجود المطبعة في تلك النواحي ضيع ثمرات قرائح هؤلاء الرجال.

وكانت عدن ولا تزال مركز اتصال جنوب الجزيرة بالعالم الخارجي، فهي ملتقى السفن بين الشرق والغرب، وهي المركز التجاري الكبير، وهي فوق ذلك «جبل طارق الشرق» بلغة الحرب. وبطبيعة البلاد الصحراوية وطبيعة مركزها التجاري والحربي، انصرف أهلها عن كل شيء غير العمل ولم تتألق فيها حياة أدبية في الأزمان الحديثة، بينما كانت الحياة دائماً في حضرموت واليمن أنشط منها في عدن، فقد ألف الناس فيها المجالس والاسمار لبحث المسائل الأدبية والمساجلات الشعرية وتبادل الطرائف الفقهية

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى بدأ الناس في سائر بقاع العالم يطالبون بحقوقهم، واتصل بعض المدنيين المخلصين بزعماء القضية العربية فكان هذا الاتصال مستهل الحياة التي نراها في عدن اليوم، فقد تم بفضله تأسيس أندية أدبية واصلاحية كان لها أثر بعيد في توجيه الرأي العام وتعريف الأمة بأحوال البلاد الأخرى، وقد ساعد في هذا التوجيه وصول الصحف المصرية باستمرار، وأخذ بعض الرجال يشعرون بالحاجة الملحة لتأسيس صحيفة في عدن تعبر عن رغبات الأمة وآمالها وشكاياتها. وكما أثرت الحرب في بقاع

الأرض كان أثرها في عدن عظيماً أيضاً ، فقد كشفت للناس عن سعة تأثيرها في الثقافة الإنسانية. وأثبتت أن الحياة الصحيحة غير ما كانوا يعتقدون [illegible] اجتمع لفيف من شباب عدن وقرروا تأسيس ناد أدبي باسم « مخيم أبي الطيب » وفي أواخر عام ١٩٣٩ صدر الأول باصدار أول جريدة عربية عدنية باسم [illegible] ورئيس تحريرها الأستاذ لقمان المحامي — رئيس مخيم أبي الطيب .

وقد امتاز مخيم أبي الطيب بنخبة من الشباب ، وينذر أن تجد بين أعضائه من هو فوق الخامسة والثلاثين . وامتاز عن سائر الأندية في عدن بأنه على كل عضو فيه أن يحاضر ولو مرة في كل ستة شهور ، والمحاضرات الأسبوعية عمومية ، وقد وضع هذا النادي أغراضاً ثقافية أدبية أهمها إيقاظ الرأي العام . وتبصيره بالأمور العامة ، وقد زاد من قيمته أنه يضم أبناء أكرم الأسر العدنية وكلهم مؤمنون أنهم بهذا النادي يقدمون لبلادهم أسمى الخدمات.

وعلى أثر ذلك اجتمع لفيف من شباب مدينة « التواهي » — وهي ضاحية عدن — وأقاموا « حلقة شوقي » على طراز « مخيم أبي الطيب » وقام بعض أدباء اليمانيين فأسسوا « كرمة أبي العلاء » وتجنبت هذه الجمعيات الثلاث شؤون السياسة وقصرت جهودها على الثقافة والأدب ، وعدن في هذا الطور من حياتها أحوج الى التعليم والتثقيف منها الى أي شيء آخر .

ومن الواضح أن مثل هذه الحركات تلاقي ما تلاقي من الاضطهاد فهناك المدرسة القديمة التي يؤذيها كل جديد وهناك أوضاع وتقاليد يتشبث بها بعض الجهلاء فيحاربون من يدعو إلى الخلاص منها ، ولكن المخيم والحلقة رغم قلة أعضائهما تصافحا على البناء لجهاد الأعاصير. وقد اتضح بعد عراك عنيف أنهما ناديان باقيان فأقبل الشباب عليهما اقبالاً يبعث على الارتياح وتمكن المخيم من اصدار الجزء الأول من سلسلة « اقلام المخيم » وأعضاؤه يشتغلون في اصدار الجزء الثاني ، ويتناول الأعضاء مشكلاتنا الاجتماعية والأدبية بروح البحث والاصلاح وقد أصبح المخيم ملتقى كثيرين من أبناء اليمن وحضرموت . والمأمول أن يزيد اتصال الادباء في عدن بأدباء القطرين حضرموت واليمن ليتوفر الجنوب قوة واحدة

ورأى أعضاء المخيم أن أغراض ناديهم تتطلب مشروعات أنفع مما كانت عليه فأقاموا جمعية لمساعدة أبناء الفقراء من طلبة المدارس وجمعوا لها تبرعات المحسنين فحالوا بعملهم هذا دون خروج كثير من الفقراء من المدارس. ولم يكتفوا بتزويد الطلبة بالكتب والنفقات المدرسية بل زادوا اجسامهم فخصصوا للطلبة الفقراء ملابس وأسدية بعض النفقات الأخرى .

وفي نفس الوقت انشأ أعضاء المخيم لجنة خاصة للترجمة والنشر ، ولكنها حصرت

جهودها في أوائل عهدها ترجمة القطع الفنية الرائعة ونشرها في جريدة « فتاة الجزيرة » نظراً لغلاء الورق في الوقت الحاضر، لا سيما أن الأعضاء يحررون تحرات فراشهم مجاناً.

وقد أصدر أنيس الخيم أول سلسلة كتبه الصغيرة عن « أرض الظاهر » احدى المحميات الشرقية في جنوب الجزيرة، كما أصدر أحد أعضائه أول سلسلته « خواطر عن المجتمع العدني » وأصدر عضو آخر ديوانين من الشعر ويطبع الأستاذ محمد عبده غانم رئيس حلقة شوقي — ديوانه الأول، كما أصدرت الحلقة عدة كتب أخرى في مسائل الدين والمذاهب. وفي عدن عدد من الشعراء بعضهم مجيدون وبعضهم يحتاج الى ثقافة وتوجيه والبعض يثير بالنظم الحديثة. كما أن عضوين آخرين وفقا في اصدار مجلة شهرية باسم « الأفكار » ولا تزال تصدر شهرياً.

وطوّاف الشباب مجلة اسبوعية « سر القناة » في دار محرر فتاة الجزيرة أو دار الأديب حمراحسان الله يجتمع فيه الأدباء، ولكل واحد الحق في حضوره مهما يكن لونه، ويتبادلون فيه الآراء ويتساجلون ويناقشون الى ما بعد منتصف الليل.

والمعهد البريطاني ناد نشيط ففيه مكتبة ثمينة وفيه وسائل للألعاب الداخلية وينتظر أن يبني المعهد حوضاً للسباحة، وفي المعهد البريطاني تلقى محاضرات ثقيفية. وقد اجتمع في الصيف الماضي عدد من الشباب العاملين وقرروا انشاء « مجلس عدن الثقافي » لاصدار كتب شهرية لاجيب يعالجون فيها مشكلات العدنيين ويوجهون الرأي العام الى ما يرونه صالحاً في عصر الذرة. ولا يزال المجلس في انتظار عودة بعض اخوانهم من مصر حيث هبطت أسعار الورق — وهي في عدن أغلى منها في مصر — ليبدأ المجلس أعماله باستمرار. ومن المنتظر أن يؤسس هؤلاء الشباب شركة تجارية سوف تكون الشركة التجارية العدنية الأولى من نوعها في الجنوب العربي.

وفي عدن اقبال شديد على التعليم. وقد خرج عدد كبير من التعليم في مصر وبيروت والسودان وأغلبهم ومصر يتعلمون على نفقة الحكومة المصرية الكريمة. وقد اختارت ادارة المعارف أن تحسن نواياها تجاه هذه الحركة المحمودة فأسست صفاً للتعليم الميتريكولاسيون (School Certificate) وهو يعادل التوجيهية المصرية بعد أن كان الطالب يضطر أن يغادر المدرسة قبلها ويكتفي بتعليم قليل لا يخوله الالتحاق بالجامعات. كما نشطت المطابع في عدن فأصبح عدد مطابع عربية بعد أن ظلت تفتقر الى مطبعة واحدة زمناً غير قصير.

هذا استعراض سريع لحركة عربية ناشئة والأمل وطيد أن يتسع نطاقها حين تبدأ الحياة العامة تعود الى طبيعتها وحين يخرج جنوب الجزيرة من عزلته عزيزاً قوياً إن شاء الله.